هو العليم

ضرورة النبوّة في تفسير الميزان (٢)

بحث فلسفيّ

بحوث من تفسير الميزان، البحوث الكلاميّة، أبحاث النبوّة، البحث الرابع

إعداد: الهيئة العلميّة في مدرسة الوحي

المصدر: تفسير الميزان ج٢

@MadrastAlwahy

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين

وصلّى الله على سيّدنا ونبيّنا محمّد وعلى آله الطيّبين الطاهرين

ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين

بحث فلسفي حول ضرورة النبوّة

هل مسألة ضرورة النبوّة مسألة كلاميّة أم فلسفيّة؟

مسألة النبوّة العامّة بالنظر إلى كون النبوّة نحو تبليغ لأحكامٍ[1] و قوانين مجعولة مشرّعة ـ و هي أمور اعتباريّة غير حقيقيّة ـ و إن كانت مسألة كلامية غير فلسفيّة، فإنّ البحث الفلسفيّ إنّما ينال الأشياء من حيث وجوداتها الخارجيّة و حقائقها العينيّة و لا يتناول الأمور المجعولة الاعتباريّة، لكنّها بالنظر إلى جهة أخرى مسألة فلسفيّة و بحث حقيقيّ، و ذلك أنّ الموادّ الدينيّة من المعارف الأصليّة والأحكام الخلقيّة و العمليّة لها ارتباط بالنفس الإنسانيّة من جهة أنّها تثبت فيها علومًا راسخة أو أحوالاً تؤدّي إلى ملكات راسخة، و هذه العلوم و الملكات تكوّن صورًا للنفس الإنسانيّة تعيّن طريقها إلى السعادة والشقاوة، و القرب و البعد من اللَه سبحانه، فإنّ الإنسان بواسطة الأعمال الصالحة و الاعتقادات الحقّة الصادقة يكتسب لنفسه كمالات لا تتعلّق إلا بما هي له عند اللَه سبحانه من القرب و الزلفى، والرضوان و الجنان، و بواسطة الأعمال الطالحة و العقائد السخيفة الباطلة يكتسب لنفسه صورًا لا تتعلّق إلا بالدنيا الداثرة و زخارفها

[1] في الأصل للأحكام. (م)

الفانية، و يؤدّيها ذلك أن ترد بعد مفارقة الدنيا و انقطاع الاختيار إلى دار البوار و مهاد النار و هذا سير حقيقي.

و على هذا فالمسألة حقيقيّة و الحجّة التي ذكرناها في البيان السابق و استفدناها من الكتاب[1] العزيز حجّة برهانيّة.

بيان أنّ مسألة ضرورة النبوّة فلسفيّة برهانيّة

توضيح ذلك: أنّ هذه الصور للنفس الإنسانيّة الواقعة في طريق الاستكمال ـ و الإنسان نوع حقيقي بمعنى أنّه موجود حقيقيّ مبدأ لآثار وجوديّة عينيّة ـ و العلل الفيّاضة للموجودات أعطتها قابليّة النيل إلى كمالها الأخير في وجودها بشهادة التجربة و البرهان، و الواجب تعالى تامّ الإفاضة فيجب أن يكون هناك إفاضة لكلّ نفس مستعدّة بما يلائم استعدادها من الكمال، و يتبدّل به قوّتها إلى الفعليّة، من الكمال الذي يسمّى سعادة إن كانت ذات صفات حسنة و ملكات فاضلة معتدلة أو الذي يسمّى شقاوة إن كانت ذات رذائل و هيئات رديّة.

و إذ كانت هذه الملكات و الصور حاصلة لها من طريق الأفعال الاختياريّة المنبعثة عن اعتقاد الصلاح و الفساد، و الخوف و الرجاء، و الرغبة إلى المنافع، و الرهبة من المضارّ، وجب أن تكون هذه الإفاضة أيضًا متعلّقه بالدعوة الدينيّة بالتبشير و الإنذار و التخويف و التطميع لتكون شفاء للمؤمنين فيكملوا به في سعادتهم، و خسارًا للظالمين فيكملوا به في شقاوتهم، و الدعوة تحتاج إلى داع يقدم بها وهو النبيّ المبعوث من عنده تعالى.

ألا يغني العقل عن النبوّة؟

فإن قلت: كفى في الدعوة ما يدعو إليه العقل من اتباع الإنسان للحقّ في الاعتقاد و العمل، وسلوكه طريق الفضيلة و التقوى، فأيّ حاجة إلى بعث الأنبياء؟

---

[1] يشير بذلك إلى البحث حول آية كان الناس أمّة واحدة... (سورة البقرة ٢١٣) وهو في الميزان ج٢ ص ١١١ فما بعد، والبحوث المنتخبة تحت عناوين: ١ـ ضرورة النبوّة في تفسير الميزان (١)

٢ـ كيف بدأت حياة الإنسان الاجتماعيّة؟٣ـ النزاع الاجتماعيّ الأوّل (كيف عالجه الله؟)٤ـ سبع حقائق حول الدين والمجتمع٥ـ هل أثّرت النبوّة في المجتمعات؟

قلت: العقل الذي يدعو إلى ذلك و يأمر به هو العقل العمليّ الحاكم بالحسن و القبح، دون العقل النظريّ المدرك لحقائق الأشياء كما مرّ بيانه سابقًا[1]، و العقل العمليّ يأخذ مقدّمات حكمه من الإحساسات الباطنة، و الإحساساتُ التي هي بالفعل في الإنسان في بادي حاله هي إحساسات القوى الشهويّة و الغضبيّة، و أمّا القوّة الناطقة القدسيّة فهي بالقوة، و قد مرّ أنّ هذا الإحساس الفطريّ يدعو إلى الاختلاف، فهذه التي بالفعل لا تدع الإنسان يخرج من القوة إلى الفعل كما هو مشهود من حال الإنسان، فكلّ قوم أو فرد فقد التربية الصالحة عاد عمّا قليل إلى التوحّش و البربريّة مع وجود العقل فيهم و حكم الفطرة عليهم، فلا غناء عن تأييد إلهيّ بنبوّة تؤيّد العقل.[2]

---

[1] تفسير الميزان ج٢ ص ١١٤ تحت عنوان علومه العمليّة، والبحث المنتخب تحت عنوان: كيف بدأت حياة الإنسان الاجتماعيّة؟ فقرة:

"https://madrasatalwahy.org/Document/Article/Details/١٠٣٠٦-٨١-%D٨%AA%D٨%AD%D٩%٨A%D٨%A٧%D٨%A٩%-D٨%A٧%D٩%٨٦%D٨%B٣%D٨%A٧%D٩%٨٦%D٨%A٧%D٩%٨٤%D٩%٨A%D٨%A٩%D٨%A٧%D٨%B٩%D٨%A٧%D٨%AC%D٨%AA%D٩%٨٥%D٨%A٧%D٩%٨٤%?page=٤"علومه الاعتباريّة العمليّة والفرق بينها وبين العلوم الحقيقيّة

[2] تفسير الميزان، ج٢، ص: ١٤٧ ـ ١٤٩. **ملاحظة:** هذه المقالة مقتبسة من كتاب "تفسير الميزان" للعلامة الطباطبائي (رضوان اللّه عليه). وقد قامت الهيئة العلمية في "مدرسة الوحي" بتحقيق النص ضمن حدود تصحيح الأخطاء الإملائية والنحوية، وإضافة العناوين أو تعديل الموجود منها (سواء من المصنّف أو المحققين) بهدف التوضيح. كما شمل العمل ترتيب الفقرات بحسب الأفكار، وإضافة هوامش توضيحية لبعض المفردات أو الأفكار الغامضة، مع الحفاظ التام على أصل المتن والإشارة الدقيقة إلى مصدره؛ وذلك لتسهيل الاستفادة من هذا السفر القيّم، واستخراج جواهره، وتسليط الضوء عليها.